سورة الفاتحة

obeikandl.com

﴿ سورة الفاتحة ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾

هى مفتتح الألوهية وقرن بها الرحمة العامة والخاصة وجعلها من المفاتيح الإلهية أى ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ تفتتح بها أفواه بدايات السور الفرقانية بل تعدى هذا الافتتاح الشؤون الدينية إلى الدنيوية من أكل وشرب إلى غير ذلك.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾

الحمد لله اسمه الأعظم إذا اقترن ببسم الله الرحمن الرحيم فى صيغ وعدد معين وخاص، وهو من دوائر الإحاطة وقد تلقينا هذا السر بأمر منه ﷺ.

وهذه الآية هى أول آية حقيقية فى القرآن المجيد لا بسم الله الرحمن الرحيم كما يتوهمه بعضهم فإن بسم الله الرحمن الرحيم ما هى سوى مفتتح للسور، وقد جعل سبحانه منصة الحمد هى بداية القرآن لكون الوجود مضطراً كله إلى حمده وشكره ظاهراً وباطناً، فمن لم يحمد بلسانه فهو حامد لا محالة بباطنه بغير علمه.

فالوجود كله بجميع ألوانه وأجناسه مؤمنه وكافره حامد له سبحانه وتعالى قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾. فطوعاً قد فهمناها فكيف بنا نفهم كرها ؟.

وإلى هذه النكتة أشار سيدى عبد الكريم الجيلى فى كتابه الإنسان الكامل.

ومعلوم لنا أن السجود هو أرقى مقام فى مقامات الصلاة

ولذلك إذا عجز الأنبياء عن المقام المحمود يوم القيامة وتقدم له نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أول ما يقدمه فى ذلك الموقف لربه أن يأتى تحت العرش ويسجد لعلمه ﷺ بشرف السجود وأنه لا يملك أفضل منه فى ذلك الموقف العصيب فيقال له من قبل ربه: ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود.

فهناك لا يجد أبو القاسم ﷺ سوى الدخول من باب الحمد إلى هذه الحضرة العرفانية الفردانية التى انفرد هو بها على سائر الأنبياء، وكم تحسر غيره عليها وتمناها لنفسه. فبعد أن يرفع رأسه من السجود يقول كما رواه عنه لبخارى فى التوحيد فيؤذن لى فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدرعليه الآن يلهمنيه الله.

فها هنا علم العارفون أن القيامة لا تفتتح إلا بتلك المحامد التى لا يلهم بها نبينا ﷺ إلا فى تلك اللحظات العصيبة كما أخبر هو بذلك عن نفسه، فكما تفتتح القيامة بالحمد كذلك افتتح الحق سبحانه القرآن بالحمد لنفسه.

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾

فمن قرأه بلفظ مالك هو نفسه كمن قرأه بلفظ ملك والمعنيان متحدان ويؤديان نفس الغرض المطلوب والمقصود من الآية.

فهو سبحانه وتعالى مما لا شك فيه ملك ذلك اليوم وأيضاً مالكه.

فإن ذلك اليوم فيه تفاصيل العالم كله أزلاً وأبداً التقاءً وانتهاءً وفتحاً وختماً، ولذلك لما كانت له ﷺ المحبوبية التامة الكاملة منه سبحانه التى لم تكن لأحد قبله ولا بعده سُمِّىَ الفاتح الخاتم لكونه ﷺ هو مقدم الحضرة الإلهية الذى تفتتح به القيامة، ثم هو يختم بها وهو

المقام المحمود الذى طلب منا ﷺ أن نسأله له من ربه إذا سمعنا الآذان.

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾

فمن عبده حق العبادة أعانه هو حق الإعانة، ومن جحده فى عبادته لم ينظر إليه وسقط من نظره حتى ورد إلينا فى الحديث القدسى على لسان الحق عز وجل: ((**يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه**)).

فالحق سبحانه قدم إليهم إعانته لما علم منهم صدق العبودية له.

حتى قرأت فى أحد الكتب أن أحد الصالحين كانت تخدمه امرأة عجوز أكثر من أربعين سنة ولما سُئلَ عن ذلك ؟

قال: هى الدنيا جعلها الله لى تخدمنى.

أقول وهذه الصورة ليست خيالية أو معنوية وإنما هى صورة حسية حقيقية يكرم بها الله أولياءه المقربين.

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٧ ﴾

ورد هاهنا الهداية بصيغة الأمر لكونها مفقودة من الطالب موجودة عند المطلوب.

وقد وضح لنا ذلك يوم ألست بربكم فإنه قبض الخلق قبضتين: قبضة للنار وقبضة للجنة، وجعل ذلك معادن مقتطعة من بقاع شتى من الأرض، فهناك الأرض النفيسة الطيبة وهناك الأرض الخبيثة التى لا رجاء منها.

وسر الهداية سر غامض من أسرار الربوبية لا يُسْئَل عما يفعل وهم يسألون .

فمهما اجتهدت الطينة لتغيير كنهها وصيرورتها الأصلية تعذر ذلك واستحال عليها، فإن الصانع لم يرد منها سوى ما اختاره لها فكيف تتمرد الصنعة عليه وتخرج عن طورها الذى أراده الحق تعالى منها ، وقد قفل سيد الخلق هذا الطريق بقوله ﷺ: ((**الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام**))، فالخير فى المعدن موجود لا يصده عن ذلك جاهلية أو إسلام .

فمعدن أبى بكر نفيس فى الجاهلية وفى الإسلام معاً.

ومعدن أُبَى بن أبى سلول خبيث فى الجاهلية وفى الإسلام .

ولا يمنع الإسلام أو الكفر نقاء الجوهر أو خبثه.

﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾

أى مغضوب على هذه الطينة فضلت وانحرفت عن صراط الحق المستقيم .

فالعارفون استعاذوا بربهم وطلبوا منه الهداية الأصلية الخالية من عيوب الطينة، ولذلك قال سيدى أحمد التجانى ﷺ عن أرض الجزائر التى يقطنها الإباضية من الخوارج: إن أهل تلك البلاد مغضوب عليهم لبغضهم لسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فهذه البلاد ناسها وترابها وشجرها وكل ما عليها فى النار، فانظر لهذا العارف العملاق الذى نظر بالسر الإلهى المتجلى فيه فعلم خبث الطينة المكونة لتلك البلاد وما فيها وما عليها .